شرح
الأصـــول الـثـلاثـة

تأليف أبي عبدالله
خالد بن عبدالله باحميد الأنصاري

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

الأنصاري، خالد بن عبد الله باحميد

شرح الأصول الثلاثة.- الرياض.

٦٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.- (مكتبة المبتدئ في طلب العلم؛١)

ردمك:٧-١٨١-٣٩-٩٩٦٠

١-العقيدة الإسلامية ٢-التوحيد أ-العنوان ب-السلسلة

ديوي ٢٤٠ ٢٢/١٢٥٨

رقم الإيداع: ٢٢/١٢٥٨

ردمك: ٧-١٨١-٣٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ

دار الاعتصام للنشر

خصم خاص للتوزيع الخيري

جوال ٠٥٤١٣٤٩٧٣

شرح
الأصـول الـثـلاثـة

مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فكتابي الموسوم بـــ "**المدخل إلى دراسة المختصرات**" مختصر يتعلق بالمنهج للمبتدئ في طلب العلم الشرعي، يتضمن عشرة أمور، وهي:

* **فضل العلم.**
* **تعريف العلم.**
* **الغاية من العلم.**
* **حكم طلب العلم.**
* **أقسام العلم.**
* **المرحلة التمهيدية لطلب العلم.**
* **التعريف بالعلوم التي تدرس في الفصل الأول من المرحلة التمهيدية.**
* **التعريف بمختصر في كل علم من هذه العلوم.**
* **التعريف بكيفية ضبط المختصر.**
* **التعريف بالشرح المناسب للمختصر.**

ثم أختم ذلك بذكر أسباب التوفيق في طلب العلم.

ومما ذكرته في المرحلة التمهيدية لطلب العلم أن هذه المرحلة تتم بفصلين وأن الفصل الأول هو ضبط مختصر في التوحيد، والاعتقاد، والفقه، والنحو، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث.

ومما ذكرته في التعريف بالعلوم التي تدرس في الفصل الأول من المرحلة التمهيدية عن علم التوحيد أن التوحيد **لغة:** الإفراد، **وشرعاً:** إفراد الله عز وجل بما يختص به.

وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بالخلق والأمر، والخلق هو الإيجاد، والأمر هو تدبير الموجودات.

القسم الثاني: توحيد الإلهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله تعالى بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

فأما **توحيد الربوبية**، فلم يكثر كلام العلماء المتقدمين فيه، وذلك لأن الضلال فيه قليل، لا بالنسبة للمسلمين فحسب، بل وبالنسبة للكفار، فأكثر الكفار يقرون بتوحيد الربوبية، وأما **توحيد الأسماء والصفات**، فهو يدخل في علم الاعتقاد، وأما **توحيد الإلهية**، فهو المراد هنا.

فعلم التوحيد إجمالاً - أعني توحيد الإلهية -: هو معرفة ما يتعلق بالعبادة التي يجب صرفها لله وحده.

ومما ذكرته في التعريف بمختصر في كل علم أن من أشهر المختصرات المؤلفة في **علم التوحيد** كتاب "**الأصول الثلاثة**" تأليف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي، المولود في بلدة العيينة سنة (١١١٥هـ) المتوفى سنة (١٢٠٦هـ).

ومما ذكرته في التعريف بالشرح المناسب للمختصر أن الشرح المناسب - في الجملة - هو أن يتضمن شيئين:

الأول: تسهيل فهم كلام المؤلف بحيث يفهمه المبتدئ.

الثاني: عدم التعرض لِما فيه تشويش لذهن المبتدئ.

وقد استعنت بالله تعالى في إعداد شرح لهذه المختصرات مراعياً فيه هذين الشيئين.

وطريقتي في الشرح تتلخص في الأمور التالية:

الأول: قبل الشروع في شرح الكتاب أتكلم كلاماً مجملاً عن عنوان الكتاب ومحتوياته.

الثاني: أقسم محتويات الكتاب تقسيماً مناسباً بحسب ما أراه بعد تأملي في جميع الكتاب.

الثالث: أحرص على ذكر المناسبات بين كلام المؤلف إن استطعت إلى ذلك سبيلاً.

الرابع: أهتم بتوضيح عبارات المؤلف، ولا أزيد على كلامه إلا نادراً، وذلك إن رأيت في الزيادة تسهيلاً لفهم كلامه.

الخامس: أحرص على ذكر الأمثلة في المواضع التي تقتضي ذلك.

السادس: أتجنب نقد شيء من كلام المؤلف أو التفصيل الكثير، أو ذكر الخلاف سواء خلاف المبتدعة في الاعتقاد أو خلاف الفقهاء في الفقه أو الخلاف في العلوم الأخرى، لأني أرى أن التعرض لذلك لا يناسب المبتدئ.

وقد يسر الله عز وجل بمنه وكرمه إتمام شرح "**الأصول الثلاثة**" فأسأله سبحانه أن ينفع به كما نفع بأصله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قبل الشروع في شرح الكتاب

قبل الشروع في شرح الكتاب سيكون الكلام عن أمرين:

الأول: عنوان الكتاب.

الثاني: محتويات الكتاب.

أما **عنوان الكتاب**، فهو "**الأصول الثلاثة**".

والأصول: جمع مفرده أصل، ومعناه لغة: الشيء الذي يُبنى عليه غيره.

مثال ذلك: الشجرة لها جذور وساق وأغصان، فالجذور أصل؛ لأن الساق مبني عليها، والساق أصل؛ لأن الأغصان مبنية عليه.

ومراد المؤلف بالأصول الثلاثة: الأسئلة الثلاثة التي يُسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وسَمَّى هذه الأسئلة بالأصول إشارة إلى أن جميع فروع الدين مبنية عليها.

وأما **محتويات الكتاب**، فهو **يحتوي على قسمين:**

القسم الأول: تمهيد، ويتضمن ذكر ثلاث مقدمات.

القسم الثاني: الكلام عن الموضوع الذي من أجله ألف المؤلف هذا الكتاب، ويتضمن ذكر الأصول الثلاثة إجمالا وتفصيلا.

[المقدّمة الأولى]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ:

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولى: العِلْمُ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيْهِ.

والدَّلِيْلُ قَوْلُه تَعَالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[1].

---

[1] هذه المقدمة الأولى، وهي تتضمن وجوب تعلم أربع مسائل.

وهذه المسائل تشمل الدين كله إجمالا.

(الأولى: العلم، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)

العلم لغة: المعرفة، وشرعا - كما ذكر المؤلف -: معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، والمراد بالأدلة: نصوص الكتاب والسنة.

(الثانية: العمل به) أي بالعلم.

(الثالثة: الدعوة إليه) أي إلى العلم.

والدعوة إلى العلم تتضمن أمرين:

الأول: الدعوة إلى طلبه.

الثاني: الدعوة إلى العمل به.

فإن كان المدعو جاهلا فيدعى إلى طلب العلم.

وإن كان عالما غير عامل فيدعى إلى العمل بالعلم.

(**الرابعة: الصبر على الأذى فيه**) أي في العلم.

والصبر على الأذى في العلم يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الصبر على الأذى في طلبه.

الثاني: الصبر على الأذى في العمل به.

الثالث: الصبر على الأذى في الدعوة إليه.

(**والدليل**) أي على وجوب تعلم هذه المسائل الأربع.

(**قوله تعالى**: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ وَٱلْعَصْرِ . إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾)

الإنسان هنا بِمعنى الناس، ووجه الدلالة في السورة: أن الله تعالى أخبر أن الناس واقعون في الخسر، واستثنى منهم الذين حققوا هذه المسائل الأربع.

فالدليل على العلم من السورة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وعلى العمل قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وعلى الدعوة قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وعلى الصبر قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله:

"لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ"[١].

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

"بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ"[٢].

مسألة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دليل على الأمر بالإيمان؛ وأراده المؤلف دليلا على الأمر بالعلم، فكيف يصح الاستدلال مع أن الإيمان غير العلم؟

الجواب: أن الاستدلال هنا بالمفهوم، فكون الله تعالى أمر بالإيمان يُفهم منه الأمر بالعلم لأن الإيمان هو التصديق بالأخبار ولا يتحقق إلا بعد العلم بالأخبار.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف سورة العصر ناسب أن يذكر كلام الشافعي عن هذه السورة.

مسألة: هل يستفاد من كلام الشافعي أن هذه السورة تكفي في معرفة الدين؟

الجواب: نعم، يستفاد من كلامه أنها تكفي في معرفة الدين لكن إجمالا.

[٢] ناسب أن يختم المؤلف هذه المقدمة بذكر كلام البخاري.

ووجه المناسبة أن كلامه يتضمن أمرين بهما يتم الكلام عن المسائل الأربع:

الأمر الأول: ذِكرُ دليل منطوق على وجوب العلم؛ لأن الدليل الْمُتَقَدِّم في سورة العصر دليل مفهوم.

الأمر الثاني: ذِكرُ دليل على وجوب الترتيب في هذه المسائل؛ العلم أولاً ثم القول والعمل، فالدليل على العلم من الآية قوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وعلى القول والعمل قوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾.

[المقدّمة الثّانية]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ:

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هذهِ الثلاث مَسَائِلَ والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الْأُوْلَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِيْ عِبَادَتِهِ أَحدٌ، لاَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُوْلَ وَوَحَّدَ اللهَ لاَ يَجُوْزُ لَهُ مُوَالاَةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

---

[١] هذه المقدمة الثانية، وهي تتضمن وجوب تعلم ثلاث مسائل.

والمسألتان الأولى والثانية كالتمهيد للمسألة الثالثة.

(**الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولا فمن أطاعه دخل الجنة من عصاه دخل النار**).

(**خلقنا**) أي أوجدنا من العدم، (**ورزقنا**) أي أعطانا ما نحتاج من النِّعم.

(**ولم يتركنا هملا**) أي من غير إرشادٍ لحقه علينا.

(**بل أرسل إلينا رسولا**) أي ليرشدنا.

(**فمن أطاعه دخل الجنة**) أي ثوابا له، (**ومن عصاه دخل النار**) أي عقابا له.

خلاصة ما يريده المؤلف من هذه المسألة وجوب طاعة الرسول ﷺ.

(**والدليل**) أي على وجوب طاعة الرسول ﷺ.

(**قوله تعالى**: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى عاقب فرعون بسبب عصيانه للرسول وذلك يدل على وجوب طاعة الرسول.

(**الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل**) خلاصة ما يريده المؤلف من هذه المسألة: وجوب توحيد الله.

(**والدليل**) أي على وجوب توحيد الله تعالى.

(**قوله تعالى**: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى نهى عن صرف الدعاء لغيره وذلك يدل على وجوب صرفه له وحده.

فائدة: الدعاء نوعان:

النوع الأول: دعاء مسألة، وهو الطلب باللسان كقولك: اللهم اغفر لي وارحمني.

النوع الثاني: دعاء عبادة، وهو التعبد، والتعبد يسمى دعاء لأن المتعبد لله بالصلاة والذكر والذبح وغيرها كأنه طلب من الله الثواب.

(**الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب**) خلاصة ما يريده المؤلف من هذه المسألة عدم جواز مولاة من حاد الله ورسوله، فأما الموالاة فأصلها المحبة وأما الذي حاد الله ورسوله فالمراد به الكافر، يعني لا تجوز محبة الكافر.

فائدة: تكلم المؤلف في المسألة الأولى عن وجوب طاعة الرسول، وفي المسألة الثانية عن وجوب توحيد الله، ثم قال في المسألة الثالثة: (**أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله**) يشير بذلك إلى أن عدم المولاة لازم لطاعة الرسول وتوحيد الله؛ فطاعة الرسول يلزم منها عدم مولاة من حاد الرسول، وتوحيد الله يلزم منه عدم موالاة من حاد الله.

(**والدليل**) أي على عدم جواز موالاة من حاد الله ورسوله.

(**قوله تعالى**: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ **الآية**) وجه الدلالة أن الله تعالى نفى الإيمان عمن يوالي من حاد الله ورسوله.

مسألة: هل نفي الإيمان عمن يوالي من حاد الله ورسوله يدل على أنه كافر؟

الجواب: نفي الإيمان عنه لا يدل على أنه كافر، بل قد يكون كافرا وقد يكون فاسقا، ويتعين حكمه بحسب نوع الموالاة.

مثال ذلك: من أحب الكافر لأجل دينه فحكمه كافر، ومن أحب الكافر لأجل حسن خلقه فحكمه فاسق.

[المقدمة الثالثة]

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ:

أَنَّ الحَنِيْفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّيْنَ.

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيْعَ النَّاسِ.

وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

وَمَعْنَى يَعْبُدُون: يُوَحِّدُوْن.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيْدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[1].

---

[1] هذه المقدمة الثالثة، وهي تتضمن وجوب تعلم مسألة واحدة؛ التي هي مسألة التوحيد.

(أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين)

الحنيفية لغة: الميل، وشرعا - كما ذكر المؤلف -: أن تعبد الله وحده.

وعبادة الله وحده سميت حنيفية لأن فيها ميلا عن الشرك.

وقوله: **(مخلصا له الدين)** أي مفردا له الانقياد.

وهذا توكيد لقوله: **(أن تعبد الله وحده)** لأنهما بمعنى واحد.

وقوله: **(ملة إبراهيم)** الملة هي الطريقة.

مراد المؤلف: أن الحنيفية هي الطريقة التي كان عليها إبراهيم عليه السلام، وحقيقتها: أن تعبد الله وحده.

(وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لَها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ومعنى يعبدون: يوحدون)

ذكر المؤلف في هذه الجملة مزيتين من مزايا التوحيد:

الأولى: أنه أمر عام لجميع الناس.

الثانية: أنه هو الذي من أجله خلق الله الجن والإنس.

(وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نَهى عنه الشرك، وهو: دعوة غيره معه) ذكر في هذه الجملة أمرين عن التوحيد وأمرين عن الشرك، فذكر عن كل منهما شأنه وتعريفه.

أما شأن التوحيد فهو أعظم ما أمر الله به، وتعريفه: إفراد الله بالعبادة.

وأما شأن الشرك فهو أعظم ما نهى الله عنه، وتعريفه: دعوة غيره معه.

مسألة: هل مراد المؤلف أن الشرك لا يكون إلا بصرف الدعاء فقط لغير الله؟

الجواب: ليس هذا مراده، بدليل أنه عرف التوحيد بأنه إفراد الله بالعبادة، فيفهم منه أن الشرك صرف العبادة لغير الله بأي نوع من أنواع العبادة.

فإذا قيل: لماذا نص على الدعاء فقط في تعريف الشرك؟

فالجواب: لعله فعل ذلك لأن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة، وعلى هذا يكون الدعاء شاملا لجميع أنواع العبادة.

(والدليل) أي على وجوب التوحيد.

(قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾)

وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بصرف العبادة له ونهى عن أن يصرف شيء منها لغيره؛ وذلك يدل على وجوب توحيده بها.

[الأُصُوْلُ الثّلاثة إجْمَالاً]

فَإذا قِيْلَ لَكَ: مَا ٱلأُصُوْلُ الثَّلاثَةُ الَّتِيْ يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ(١).

[الأصْلُ الأوّلُ: مَعْرِفَةُ الرَّبِّ]

فَإذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِيْ رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ بِنِعْمَتِهِ.

وَهُوَ مَعْبُوْدِيْ لَيْسَ لِيْ مَعْبُوْدٌ سِوَاهُ(٢).

---

(١) لَمَّا انتهى المؤلف من القسم الأول الذي هو التمهيد انتقل إلى القسم الثاني الذي هو الكلام عن الموضوع الذي من أجله ألف هذا الكتاب.

فبدأ بذكر الأصول الثلاثة إجمالا على صيغة السؤال والجواب.

(٢) بعد ما ذكر المؤلف الأصول الثلاثة إجمالا شرع في ذكرها تفصيلا.

فبدأ بالأصل الأول الذي هو معرفة الرب.

ومعرفة الرب بحسب ما ذكر تتضمن أمرين:

الأول: معرفة أنه الله.

الثاني: معرفة أنه المعبود.

(ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته) هذا الأمر الأول.

(ربي الله) الرب معناه: الخالق الرازق، وهذا بعض معناه لا كل معناه.

(الذي رباني) أي خلقني ورزقني.

[الدَّلِيلُ على أنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ]

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ(١).

[الدَّلِيلُ على وُجُوْدِ الرَّبِّ]

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوْقَاتِهِ.

(**وربي جميع العالمين**) أي خلقهم ورزقهم.

(**بنعمته**) أي تربيته لي وتربيته للعالمين كل ذلك إنعام منه.

(**وهو معبودي ليس لي معبود سواه**) هذا الأمر الثاني.

(**معبودي**) أي الذي أصرف له العبادة.

(**ليس لي معبود سواه**) أي لا أصرف العبادة لأحد غيره.

(١) لَمَّا ذكر المؤلف أن معرفة الرب تتضمن أمرين بدأ بالكلام عن الأمر الأول.

(**والدليل**) أي على أن الرب هو الله.

(**قوله تعالى**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أنه رب العالمين.

(**وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم**) أي كما أن الله رب العالمين فهو أيضا ربي لأني من العالمين.

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمواتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُوْنَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْـلُ وَٱلنَّهَـارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1].

---

[1] لَمَّا ذكر المؤلف الدليل الشرعي على أن الرب هو الله ناسب أن يذكر الدليل العقلي على وجود الرب.

فذكر أن الدليل العقلي على ذلك هو الآيات والمخلوقات.

ثم ذكر بعضاً منها.

فائدة: الآيات نوعان:

النوع الأول: آيات شرعية، وهي كلام الرب سبحانه وتعالى، كالقرآن.

النوع الثاني: آيات كونية، وهي المخلوقات، كالسموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر.

والآيات في كلام المؤلف هي الآيات الكونية دون الشرعية بدليل الأمثلة التي ذكرها.

(والدليل) أي على أن الآيات والمخلوقات يستدل بها على وجود الرب.

(**قوله تعالى:** ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ **الآية**)

وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أن الليل والنهار والشمس والقمر من آياته أي من العلامات التي تدل على وجوده.

مسألة: كيف يستدل بهذه الآيات على وجود الرب؟

الجواب: لكونها تسير بانتظام، وذلك يدل على أن لها رباً يدبرها ويسيرها بهذا النظام.

مثال ذلك: لو رأيت طائرة تطير وأنت لا ترى القائد، فهل تظن أنها تطير لوحدها من غير قائد؟ الجواب: لا ، بل لابد لَها من قائد وإن لم تره، فإذا كانت هذه الطائرة — وهي مخلوق صغير — لابد لَها من مسير، فكيف بالشمس المخلوق الكبير التي تسير بانتظام يوميا حول الكرة الأرضية، ألا تجزم أن لها مدبرا ومسيرا وإن لم تره؟!

(**وقوله تعالى:** ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ **الآية**) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أنه الرب الذي خلق السموات والأرض، وفي ذلك إشارة إلى أن السموات والأرض يستدل بها على وجود الرب.

مسألة: كيف يستدل بالسموات والأرض على وجود الرب؟

الجواب: وجودها بعد أن لم تكن موجودة يدل على أن لها ربا أوجدها.

مثال ذلك: لو رأيت مَنْزِلاً مبنياً ولَمْ تر الذي بناه، فهل تظن أن الْمَنْزِل بُني من غير بان؟ الجواب: لا، بل لابد له من بان وإن لم تره، فإذا كان هذا الْمَنْزِل ـ وهو مخلوق صغير ـ لابد له من بان، فكيف بهذا الكون العظيم بسمواته وأرضه وما بينهما ألا تجزم أن له خالقا أوجده وإن لم تره وقت إيجاده له؟!

[الدَّلِيلُ على أنَّ الرَّبَّ هُوَ المَعبُودُ]

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: "الْخَالِقُ لِهٰذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ"[١].

---

[١] لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن الأمر الأول في معرفة الرب شرع في الكلام عن الأمر الثاني.

(**والرب هو المعبود**) أي الرب هو الذي يستحق أن يُعبَد.

(**والدليل قوله تعالى**: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ **قال ابن كثير رحمه الله: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة**)

وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بصرف العبادة للرب تنبيها إلى أن الرب هو الذي يستحق أن يعبد.

فائدة: يستفاد من الآية قاعدة، وهي أن استحقاق العبادة ملازم للربوبية، فالرب هو الذي يستحق أن يُعبد، وإذا كان الرب هو الله وحده فهو الذي يستحق أن يُعبد وحده دون غيره، ولأجل هذه القاعدة ذكر المؤلف الآية وكلام ابن كثير عنها.

[أنواعُ العِبادةِ]

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِيْ أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ وَالإِحْسَانِ.
وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوْعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، والاسْتِعَانَةُ، والاسْتِعَاذَةُ، والاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ.
وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِيْ أَمَرَ اللَّهُ بِهَا[1].

---

[1] لَمَّا ذكر المؤلف أن الله هو المستحق للعبادة ناسب أن يذكر أنواع العبادة التي يستحقها.

فائدة: العبادة لغة: التذلل.

وشرعا: اسم جامع لكل ما يُحِبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

(مثل الإسلام والإيمان والإحسان) هذه الأنواع سيأتي تفصيلها في معرفة الدين.

(ومنه) أي من المذكور الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان.

فالأنواع التي سيأتي ذكرها داخلة في هذه الأنواع الثلاثة.

(الدعاء) الدعاء لغة: الطلب، فقولك: "أدعو الله" معناه: أطلب من الله.

فائدتان:

الفائدة الأولى: دعاء الله عز وجل صادر عن اعتقاد أنه يَملك النفع والضر، فإذا احتجتَ إلى نفع دعوتَ الله لأنه هو الذي يَملك النفع، وإذا أردت الخلاص من ضر دعوت الله لأنه هو الذي يملك الضر.

الفائدة الثانية: الأشياء التي تُطْلَب في الدعاء شيئان:

أحدهما: جلب نفع أو إبقاؤه.

الثاني: دفع ضر أو رفعه.

مثال جلب النفع: أن يقول قائل: "اللهم زدني علما".

ومثال إبقاء النفع: أن يقول: "اللهم ثبتني على الهداية".

ومثال دفع الضر: أن يقول: "اللهم لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني".

ومثال رفع الضر: أن يقول قائل - مبتلى بالنظر إلى الحرام -: "اللهم اصرف بصري عن الحرام".

والأشياء التي تُطلب في الدعاء ليست مقصورة على الحاجات الدينية، بل تشمل الحاجات الدنيوية أيضا.

مسألة: هل دعاء المخلوق عبادة؟

الجواب: دعاء المخلوق قد يكون عبادة وقد لا يكون.

فيكون عبادة إذا كان صادرا عن اعتقاد أنه يَملك شيئا من النفع أو الضر، ولا يكون عبادة إذا كان صادرا عن اعتقاد أنه سبب للنفع أو الضر.

مثال ذلك: لو قال المريض لطبيب حي حاضر: "يا طبيب أريد أن أشفى"، فهذا دعاء للطبيب، فإذا كان صادرا عن اعتقاد أنه يَملك الشفاء فدعاؤه عبادة، وإذا كان صادرا عن اعتقاد أنه سبب للشفاء فدعاؤه ليس عبادة.

ومن علامة كون دعاء المخلوق عبادة أن يدعو ميتا أو غائبا أو حيا حاضرا في شيء لا يقدر عليه، لأن هذا كله دليل على أن دعاءه للمخلوق مبني على اعتقاد أنه يملك شيئا من النفع أو الضر.

(**والخوف**) الخوف: هو اضطراب القلب، وضده الاطمئنان.

فائدة: الخوف من الله خوف كامل لأنه صادر عن اعتقاد أنه يملك الضر، فأنت تَخَافُ من الله عز وجل أن يضرك لأنه هو الذي يملك الضر، فهو الذي يُمْرِض وهو الذي يُفْقِر وهو الذي يُقَدِّر جميع المضار.

مسألة: هل الخوف من المخلوق عبادة؟

الجواب: الخوف من المخلوق قد يكون عبادة وقد لا يكون.

فيكون عبادة إذا كان خوفا كاملا أي صادرا عن اعتقاد أنه يملك شيئا من الضر، ولا يكون عبادة إذا كان ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أنه سبب للضر.

مثال ذلك: لو كان أحد من الناس توعده السلطان بأنه سيضره فخاف، فهذا الخوف إذا كان كاملا أي صادرا عن اعتقاد أنه يملك الضر فهو عبادة، وإذا كان ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أنه سبب للضر فليس عبادة.

(والرجاء) الرجاء عمل من أعمال القلب، ومعناه: الأمل، وضده اليأس.

فائدة: رجاء الله تعالى رجاء كامل لأنه صادر عن اعتقاد أنه يَملك النفع، فأنت ترجو الله عز وجل أن ينفعك لأنه هو الذي يَملك النفع، فهو الذي يَشفي وهو الذي يُغني وهو الذي يقدر جميع المنافع.

مسألة: هل رجاء المخلوق عبادة؟

الجواب: رجاء المخلوق قد يكون عبادة وقد لا يكون.

فيكون عبادة إذا كان رجاء كاملا أي صادرا عن اعتقاد أنه يملك شيئا من النفع، ولا يكون عبادة إذا كان رجاء ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أنه سبب للنفع.

مثال ذلك: رجل مريض، وعده الطبيب أن يسعى لشفائه؛ فرَجَا المريض أن يشفى على يدي هذا الطبيب، فهذا الرجاء إذا كان كاملا أي صادرا عن اعتقاد أنه يملك

الشفاء فهو عباده، وإذا كان ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أنه سبب للشفاء فليس عبادة.

(والتوكل) التوكل عمل من أعمال القلب، وهو الاعتماد الكامل.

فقولك: "أتوكل على الله" معناه: اعتمد اعتمادا كاملا على الله تعالى بأن لا يحصل نفع ولا ضر إلا بعد مشيئته سبحانه.

فائدة: التوكل على الله عز وجل صادر عن اعتقاد أنه يملك النفع والضر.

مسائل:

المسألة الأولى: هل يلزم من التوكل على الله تعالى ترك السبب؟

الجواب: لا يلزم، لأن التوكل غير السبب، فالتوكل عمل قلبي واتخاذ السبب عمل بدني.

مثال ذلك: رجل يريد أن يشفى من مرضه، فكونه متوكلا على الله تعالى لا يمنع ذلك من تناول الدواء.

المسألة الثانية: هل التوكل على المخلوق عبادة؟

الجواب: نعم، لأن التوكل اعتماد كامل، فهو من الأعمال التي يُخَصُّ اللهُ تعالى بصرفها له.

المسألة الثالثة: هل الاعتماد على المخلوق عبادة؟

الجواب: الاعتماد على المخلوق قد يكون عبادة وقد لا يكون.

فيكون عبادة إذا كان اعتمادا كاملا أي صادرا عن اعتقاد أنه يملك شيئا من النفع أو الضر، ولا يكون عبادة إذا كان اعتمادا ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أنه سبب للنفع أو الضر.

مثال ذلك: رجل له حاجة عند السلطان، فوعده صاحبه بقضاء حاجته، فاعتمد عليه، فإن كان هذا الاعتماد كاملا أي صادرا عن اعتقاد أنه يَملك النفع فهو عبادة وإن كان ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أنه سبب للنفع فليس عبادة.

فإذا قيل: ما الفرق بين الذي يملك النفع والضر؛ وبين السبب؟

فالجواب: أما الذي يملك النفع والضر فهو الذي له القدرة على إيقاع النفع والضر بمجرد المشيئة ولا يمنعه مانع من وقوع ما شاءه.

مثال النفع: إذا أراد الله تعالى للمريض أن يشفى، حصل الشفاء بِمجرد المشيئة ولا يستطيع أي أحد من المخلوقين منع حصول الشفاء.

مثال الضر: إذا أراد الله تعالى للصحيح أن يَمرض، حصل المرض بِمجرد المشيئة ولا يستطيع أي أحد من المخلوقين منع حصول المرض.

وأما السبب فهو الذي ليس له القدرة على إيقاع النفع أو الضر بمجرد المشيئة بل لابد من اتخاذ الوسائل وكذلك لو اتخذ الوسائل لا يلزم وقوع ما شاءه لأن الله عز وجل قد يمنع وقوعه.

مثال النفع: إذا أراد الطبيب للمريض أن يشفى، فلا يحصل الشفاء بمجرد المشيئة بل لابد من اتخاذ الوسائل كأن يعطيه الدواء الملائم، ولو اتخذ الوسائل لا يلزم حصول الشفاء لأن الله عز وجل قد يمنع حصوله.

مثال الضر: إذا أراد شخص للصحيح أن يمرض، فلا يحصل المرض بمجرد المشيئة بل لابد من اتخاذ الوسائل، ولو اتخذ الوسائل لا يلزم حصول المرض لأن الله عز وجل قد يمنع حصوله.

(والرغبة) الرغبة بمعنى الرجاء، ولهذا فالكلام عنها نفس الكلام عن الرجاء.

(والرهبة) الرهبة بمعنى الخوف، ولهذا فالكلام عنها نفس الكلام عن الخوف.

(والخشوع) الخشوع لغة: السكون، وهو يتضمن سكون القلب والجسد.

فسكون القلب هو أن يتوجه إلى شيء واحد ولا يشتغل بسواه، وسكون الجسد هو أن يكون هادئا مقلا عن الحركة المنافية لسكون القلب.

فائدة: الخشوع لله تعالى سكون كامل لأنه صادر عن اعتقاد أمرين:

الأول: أن الله تعالى هو العظيم المتفرد بكمال العظمة.

الثاني: أنه تعالى يرى حركات العبد وسكناته.

ولهذا يزداد الخشوع عند الإنسان بقدر تعظيمه لربه، وبقدر استحضاره أنه يراه.

مسألة: هل السكون للمخلوق عبادة؟

الجواب: السكون للمخلوق قد يكون عبادة وقد لا يكون.

فيكون عبادة إذا كان كاملا أي صادرا عن اعتقاد أن له كمال العظمة وأنه يراه مع عدم حضوره عنده، ولا يكون عبادة إذا كان سكونا ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أن له نوعا من العظمة وأنه لا يراه مع عدم حضوره عنده.

مثال ذلك: السكون عند السلطان، فهذا السكون إذا كان كاملا أي صادرا عن اعتقاد أن له كمال العظمة وأنه يراه مع عدم حضوره عنده فهو عبادة، وإذا كان ناقصا أي صادرا عن اعتقاد أن له نوعا من العظمة وأنه لا يراه مع عدم حضوره عنده فليس عبادة.

(والخشية) الخشية بمعنى الخوف، ولهذا فالكلام عنها نفس الكلام عن الخوف.

(والإنابة) الإنابة لغة: الرجوع، فقوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾ معناه: ارجعوا إلى ربكم، وحقيقة الرجوع إلى الله تعالى هي الإقبال على طاعته وترك معصيته.

(والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة) هذه الثلاثة كلها من أنواع الدعاء.

أما الاستعانة فهي: طلب العون.

فقولك: "أستعين بالله" معناه: أطلب من الله أن يعينني.

فائدتان:

الفائدة الأولى: أن الاستعانة بالله صادرة عن اعتقاد أنه يملك النفع والضر.

الفائدة الثانية: أن طلب العون يكون في شيئين:

أحدهما: جلب نفع أو إبقاؤه.

والثاني: دفع ضر أو رفعه.

فمثال طلب العون على جلب النفع: أن يقول قائل: "اللهم أعني على طلب العلم".

ومثال طلب العون على إبقاء النفع: أن يقول: "اللهم أعني على الثبات على الهداية".

ومثال طلب العون على دفع الضر: أن يقول: "اللهم أعني على عدم الانحراف".

ومثال طلب العون على رفع الضر: أن يقول قائل - مبتلى بالنظر إلى الحرام -: "اللهم أعني على غض بصري".

وطلب العون ليس مقصورا على الحاجات الدينية بل يشمل الحاجات الدنيوية أيضا.

مسألة: هل طلب العون من المخلوق عبادة؟

الجواب: طلب العون من المخلوق قد يكون عبادة وقد لا يكون.

فيكون عبادة إذا كان صادرا عن اعتقاد أنه يملك شيئا من النفع أو الضر، ولا يكون عبادة إذا كان صادرا عن اعتقاد أنه سبب للنفع أو الضر.

مثال ذلك: إذا قال رجل لصاحبه الحي الحاضر: "أعِنِّي على حمل هذا المتاع" فلا يكون هذا عبادة ما دام أنه صادر عن اعتقاد أنه سبب للنفع.

ومن علامة كون الاستعانة بالمخلوق عبادة: أن يستعين بالميت أو الغائب أو الحي الحاضر في شيء لا يقدر عليه.

وأما الاستعاذة فهي: طلب الحماية.

فقولك: "أعوذ بالله" معناه: أطلب من الله أن يحميني.

فائدتان:

الفائدة الأولى: طلب الحماية من الله صادر عن اعتقاد أنه يملك النفع والضر.

الفائدة الثانية: طلب الحماية يكون لدفع ضر متوقع.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" أي أطلب منك أن تحميني من ضرر الخبث والخبائث، والخبث: ذكران الشياطين، والخبائث: إناث الشياطين، وسبب هذه الاستعاذة أن الخلاء مكان متوقع فيه حصول الضر لكونه مأوى الشياطين.

مسألة: هل الاستعاذة بالمخلوق عبادة؟

الجواب: الاستعاذة بالمخلوق قد تكون عبادة وقد لا تكون.

فتكون عبادة إذا كانت صادرة عن اعتقاد أنه يملك شيئا من النفع أو الضر، ولا تكون عبادة إذا كانت صادرة عن اعتقاد أنه سبب.

مثال ذلك: إذا قال رجل لسلطان: "احمني من فلان فإنه توعدني بالقتل" فلا يكون هذا عبادة ما دام أنه صادر عن اعتقاد أنه سبب.

ومن علامة كون الاستعاذة بالمخلوق عبادة: أن يستعيذ بالميت أو الغائب أو الحي الحاضر في شيء لا يقدر عليه.

وأما الاستغاثة فهي: طلب الغوث أي الإنقاذ.
فقولك: "أستغيث بالله" معناه: أطلب من الله أن ينقذني.
فائدتان:

الفائدة الأولى: الاستغاثة بالله تعالى صادرة عن اعتقاد أنه يملك النفع والضر.
الفائدة الثانية: الاستغاثة تكون في حال الشدة؛ إما لرفع ضر واقع أو لدفع ضر متوقع جدا.
فمثال رفع الضر الواقع: أن يكون في سفينة تغرق فيقول: "اللهم أغثني".
ومثال دفع الضر المتوقع جدا: أن يكون في سفينة تَضْرِبُهَا الرياح وتَهُزُّهَا الأمواج يُخشى عليها من الغرق فيقول: "اللهم أغثني".
مسألة: هل الاستغاثة بالمخلوق عبادة؟
الجواب: الاستغاثة بالمخلوق قد تكون عبادة وقد لا تكون.
فتكون عبادة إذا كانت صادرة عن اعتقاد أنه يملك شيئا من النفع أو الضر، ولا تكون عبادة إذا كانت صادرة عن اعتقاد أنه سبب.
مثال ذلك: إذا كان رجل في البحر سيغرق وقال لصاحبه الحي الحاضر: "أنقذني" فهذا ليس بعبادة مادام أنه صادر عن اعتقاد أنه سبب.
ومن علامة كون الاستغاثة بالمخلوق عبادة: أن يستغيث بالميت أو الغائب أو الحي الحاضر في شيء لا يقدر عليه.
(والذبح) الذبح: هو إزهاق الروح بإراقة الدم.
فائدة: الذبح من الأعمال التي يُعَظَّمُ الله تعالى بها ويُتَقَرَّبُ بها إليه خاصة.

مسألة: هل الذبح للمخلوق عبادة؟

الجواب: الذبح للمخلوق قد يكون عبادة وقد لا يكون.

فيكون عبادة إذا كان لقصد التعظيم والتقرب، ولا يكون عبادة إذا كان لقصد الإطعام.

فمثال ذبح العبادة: الذبح عند القبر تعظيماً للميت وتقرباً إليه.

ومثال الذبح الذي ليس بعبادة: الذبح للأهل والضيف والمسكين.

(والنذر) النذر لغة: الإلزام.

فقولك: "نذرت لله" معناه: ألزمت نفسك بفعل شيء لله غير لازم.

فائدة: النذر من الأعمال التي يُعَظِّمُ الله تعالى بها ويُتَقَرَّبُ بها إليه خاصة.

مسألة: هل النذر للمخلوق عبادة؟

الجواب: نعم، النذر للمخلوق عبادة بالإطلاق سواء اعتقد أنه يملك شيئا من النفع أو الضر أو لم يعتقد.

فمثال النذر للمخلوق مصحوبا بهذا الاعتقاد: أن يقول قائل: "نذرت للولي فلان إن شفاني من المرض تصدقت" فهذا وقع في الشرك من جهتين من جهة اعتقاده أن غير الله تعالى يملك الشفاء ومن جهة صرف النذر لغير الله تعالى.

ومثال النذر للمخلوق غير مصحوب بهذا الاعتقاد: أن يقول قائل: "نذرت للولي فلان إن شفاني الله تعالى من المرض تصدقت" فهذا وقع في الشرك من جهة صرف النذر لغير الله تعالى وإن كان يعتقد أن الشفاء ملك لله تعالى.

(وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها) يعني أن هذه الأنواع التي ذكرها من باب التمثيل لا من باب الحصر، فهناك أنواع أخرى لم يذكرها.

[مسألتان تتعلقان بأنواع العبادة]

كُلُّها لِلَّهِ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.

فَمَنْ صَرَفَ مِنْها شَيْئاً لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

---

[1] بعد ما ذكر بعض أنواع العبادة ناسب أن يذكر فيما يتعلق بصرفها مسألتين:

المسألة الأولى: حكم صرفها لله.

المسألة الثانية: حكم مَن صرف منها شيئا لغير الله.

(**كلها لله**) أي كل أنواع العبادة يجب أن تصرف لله وحده.

(**والدليل**) أي على وجوب ذلك.

(**قوله تعالى**: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى نهى أن يصرف الدعاء لغيره؛ وذلك يدل على وجوب صرفه له وحده.

(**فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر**) يعني ولو نوعا واحدا.

(**والدليل**) أي على كفر من فعل ذلك.

(**قوله تعالى**: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أن الذي يدعو غيره كافر.

[النصوص الدالة على أن الأنواع التي ذكرها عبادة]

وَفِي الْحَدِيْثِ: "الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ"، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

وَدَلِيْلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وَدَلِيْلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾.

وَدَلِيْلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، وَقَال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾.

وَدَلِيْلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوْعِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾.

وَدَلِيْلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾.

وَدَلِيْلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾.

وَدَلِيْلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وَفِيْ الحَدِيث: "إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ".

وَدَلِيْلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾.

وَدَلِيْلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾.

وَدَلِيْلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾، **وَمِنَ السُّنَّةِ: "لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ".**

وَدَلِيْلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[1].

---

[1] لَمَّا ذكر مسألتين تتعلقان بصرف أنواع العبادة ناسب أن يذكر النصوص الدالة على أن الأنواع التي ذكرها عبادة.

والدلالة في هذه النصوص على نوعين:

النوع الأول: دلالة منطوقة، أي مصرح في النص أن العمل المذكور فيه عبادة.

النوع الثاني: دلالة مفهومة، أي غير مصرح في النص أن العمل المذكور فيه عبادة لكن يُفهم منه، وذلك إذا ذُكر في سياق يدل على أنه مَحْبُوب عند الله تعالى.

(**وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة" والدليل قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾).

هذا الحديث وهذه الآية دليلان على الدعاء، ودلالتهما منطوقة.

فوجه الدلالة في الحديث: أن النبي ﷺ سمى الدعاء عبادة لأن معنى قوله: "الدعاء مخ العبادة" المخ: لب الشيء وخالصه، يعني أن الدعاء نوع من أنواع العبادة وهو لبها وخالصها.

ووجه الدلالة في الآية: أن الله تعالى سمى الدعاء عبادة لأنه سبحانه قال في أولها: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي عن دعائي، لأن الكلام السابق كان عن الدعاء.

(**ودليل الخوف قوله تعالى:** ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بالخوف منه وهذا يدل على أن الخوف منه محبوب عنده فهو عبادة.

(**ودليل الرجاء قوله تعالى:** ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى حث على الرجاء وهذا يدل على أن الرجاء محبوب عنده فهو عبادة.

(**ودليل التوكل قوله تعالى:** ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ **وقال:** ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾) وجه الدلالة في الآية الأولى: أن الله تعالى أمر بالتوكل عليه، وفي الآية الثانية: حث على التوكل عليه، وكلاهما يدل على أن التوكل عليه محبوب عنده فهو عباده.

(**ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى:** ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى ذكر من حقق هذه الأعمال في سياق الثناء وهذا يدل على أنها محبوبة عنده فهي عبادة.

(**ودليل الخشية قوله تعالى:** ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بالخشية منه وهذا يدل على أن الخشية منه محبوبة عنده فهي عباده.

(**ودليل الإنابة قوله تعالى:** ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بالإنابة إليه وهذا يدل على أنها محبوبة عنده فهي عبادة.

(**ودليل الاستعانة قوله تعالى:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، **وفي الحديث:** "**إذا استعنت فاستعن بالله**") وجه الدلالة في الآية: أن الله تعالى حصر الاستعانة به وحده، وفي الحديث: أمر بالاستعانة بالله وحده، وكلاهما يدل على أن الاستعانة به محبوبة عنده فهي عبادة.

(**ودليل الاستعاذة قوله تعالى:** ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بالاستعاذة به وهذا يدل على أن الاستعاذة به محبوبة عنده فهي عبادة.

(**ودليل الاستغاثة قوله تعالى:** ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾)

وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أنه استجاب لِمن استغاث به وهذا يدل على أن الاستغاثة به محبوبة عنده فهي عبادة.

(**ودليل الذبح قوله تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ **ومن السنة:** "**لعن الله من ذبح لغير الله**") النسك معناه: الذبح، ووجه الدلالة في الآية: الأمر بالذبح لله وحده، وفي السنة: اللعن لمن ذبح لغيره، وكلاهما يدل على أن الذبح لله محبوب عنده فهو عبادة.

(**ودليل النذر قوله تعالى:** ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾)

وجه الدلالة: أن الله تعالى ذكر من أوفى بالنذر في سياق الثناء وهذا يدل على أن الوفاء بالنذر محبوب عنده فهو عبادة، وإذا كان الوفاء بالنذر عبادة ففيه إشارة إلى أن نفس النذر عبادة لأنه لو لم يكن عبادة لما كان الوفاء به عبادة.

[الأصلُ الثاني: معرفة الدِّين]

الأَصْلُ الثَّانِيْ: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ لِلّهِ بِالتَّوْحِيْدِ، والانقيادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ وَالإِيْمَانُ وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ[1].

---

[1] لَمَّا انتهى المؤلف من التفصيل عن الأصل الأول شرع في التفصيل عن الأصل الثاني؛ الذي هو معرفة الدين، ومعرفة الدين بحسب ما ذكر تتضمن أمرين:

الأول: معرفة الدين إجمالا.

الثاني: معرفة الدين تفصيلا.

(**وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله**) هذا هو تعريف الدين إجمالا.

(**الاستسلام لله بالتوحيد**) أي بإفراد العبادة له وحده.

(**والانقياد له بالطاعة**) أي بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

(**والبراءة من الشرك وأهله**) هذا يدخل في الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وإنما خصه بالذكر لأهميته.

(**والبراءة**) أي البغض والترك.

(**من الشرك**) أي من عبادة غير الله تعالى.

(**وأهله**) أي أهل الشرك، وهم الذين يعبدون غير الله تعالى.

(**وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان**) هذا هو تعريف الدين تفصيلا.

[المَرْتَبَةُ الأولى: الإسلامُ]

فَأَرْكَانُ الإِسْلاَمِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحرامِ[1].

أولاً: هو ثلاث مراتب؛ أي منازل.

ثانياً: كل مرتبة لها أركان؛ أي أعمدة تقوم عليها.

والمقصود أن معرفة الدين تفصيلا تتم بمعرفة مراتبه وأركان كل مرتبة.

[1] لَمَّا ذكر المؤلف أن الدين ثلاث مراتب فصَّل بعد ذلك في هذه المراتب، وبدأ بالمرتبة الأولى التي هي الإسلام.

وذكر فيما يتعلق بالإسلام ثلاثة أمور:

الأول: عدد أركانه.

الثاني: التفصيل في الركن الأول.

الثالث: الأدلة على بقية الأركان.

وبدأ بالأمر الأول الذي هو عدد أركانه.

(فأركان الإسلام) أي الأعمدة التي يقوم عليها.

(خمسة) أي عددها.

(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) هذا الركن الأول وهو الشهادتان.

وسمي بالشهادتين لأنه يتضمن الشهادة بأن لا إله إلا الله والشهادة بأن محمدا رسول الله، وسيذكر المؤلف تعريف كلتا الشهادتين فيما بعد.

(وإقام الصلاة) هذا الركن الثاني.

والصلاة لغة: الدعاء، وشرعا: أقوال وأفعال مخصوصة، وسميت بالصلاة لاشتمالها على الدعاء.

ومعنى إقام الصلاة: أي أداؤها على الوجه المطلوب.

(وإيتاء الزكاة) هذا الركن الثالث.

والزكاة لغة: الزيادة، وشرعا: إخراج جزء من المال ودفعه للمستحقين، وسمي هذا الإخراج زكاة لأنه سبب لزيادة مال المخرِج في الدنيا وثوابه في الآخرة.

ومعنى إيتاء الزكاة: أي إعطاؤها لمستحقيها.

(وصوم رمضان) هذا الركن الرابع.

والصوم لغة: الإمساك، وشرعا: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

ومعنى صوم رمضان: الإمساك في شهر رمضان.

(وحج بيت الله الحرام) هذا الركن الخامس.

والحج لغة: القصد، وشرعا: قصد الكعبة لعمل مخصوص في زمن مخصوص.

فائدة: قال أهل العلم: من أتى بالركن الأول فهو مسلم حكما - أي يُحكَم له بالإسلام - ومن أتى ببقية الأركان فهو مسلم حقا؛ ويؤمر ببقية الواجبات.

مسألة: الذي لم يأت بركن من هذه الأركان هل يكون بذلك كافرا؟

الجواب: الذي لم يأت بالركن الأول كافر بالإجماع.

والذي أتى بالركن الأول ولَمْ يأت ببقية الأركان اختلف فيه أهل العلم؛ فقال بعضهم: يكفر، وقال أكثرهم: لا يكفر.

فَدَلِيْلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

وَمَعْنَاهَا: لاَ مَعْبُوْدَ بِحَقٍّ إِلاَّ اللهُ، (لاَ إِلَهَ) نَافِياً جَمِيْعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ، (إِلاَّ اللهُ) مُثْبِتاً العِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

لا شَرِيْكَ لَهُ فِيْ عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيْرُهَا الَّذِيْ يُوَضِّحُهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

وَدَلِيْلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيْمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيْقُهُ فِيْمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لاَ يُعْبَدَ اللَّهُ إِلاَّ بِمَا شَرَعَ[1].

---

[1] هذا الأمر الثاني الذي ذكره عن الإسلام؛ وهو التفصيل في الركن الأول.

(فدليل الشهادة) أي شهادة أن لا إله إلا الله.

(**قوله تعالى:** ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى شهد لنفسه أنه لا إله إلا هو وثنّى بشهادة ملائكته ثم بأولي العلم؛ وهذا يدل على وجوب شهادة عامة الناس بذلك.

(**ومعناها لا معبود بحق إلا الله**) أي لا أحد يستحق العبادة غير الله.

(**لا إله نافيا جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله مثبتا العبادة لله وحده**) أي هذه الشهادة تتضمن ركنين، نفي العبادة عما سوى الله وإثباتها لله وحده.

(**لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه**) مراده بهذه الجملة أن يذكر سببا من أسباب استحقاق الله تعالى للعبادة وحده دون غيره، ومعنى الجملة كما أن الله تعالى هو الملك وحده فهو المستحق أن يعبد وحده.

(**وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى:** ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾)

خلاصة مراد المؤلف أن الله تعالى فسر كلمة لا إله إلا الله في هذه الآيات حيث ذكرها بمعناها.

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ هذا معنى لا إله إلا الله، ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ معنى لا إله ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ معنى إلا الله.

وَدَلِيْلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾.

وَدَلِيْلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ هذا أيضا معنى لا إله إلا الله.

(ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أن الذي جاءهم رسول، وكونه أخبر وجبت الشهادة بما أخبر به.

(ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)

أولاً: معنى شهادة أن محمدا رسول الله: هو الاعتراف بأنه مرسل من الله.

ثانياً: يجب على من شهد أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

وظاهر كلام المؤلف أنه سيذكر معنى هذه الشهادة ولكنه لم يذكر معنى الشهادة بل ذكر ما يجب على من شهد.

وقوله: **(أن لا يُعبَد الله إلا بما شرع)** معناه: أن كيفية عبادة الله تعالى يجب أن تكون موافقة للشرع الذي جاء به محمد ﷺ فلا يزاد عليه ولا ينقص منه.

وَدَلِيْلُ الحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

---

[1] هذا الأمر الثالث الذي ذكره عن الإسلام؛ وهو الأدلة على بقية الأركان الأربعة.

(**ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾)

وجه الدلالة على الصلاة والزكاة: أن الله تعالى أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

والمراد بتفسير التوحيد: تفسير كلمة لا إله إلا الله، ووجه الدلالة على تفسير التوحيد: أن الله تعالى أخبر أن الذي أمر به هو عبادته وحده.

مسألة: لماذا ذكر المؤلف تفسير التوحيد هنا مع أنه قد ذكره من قبل عند الكلام عن شهادة أن لا إله إلا الله؟

الجواب: إنَّما قصد ذكر الدليل على الصلاة والزكاة ولكون هذا الدليل احتوى أيضا على تفسير التوحيد ذكره تبعا.

(**ودليل الصيام قوله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر بأنه فرض علينا الصيام، لأن ﴿كُتِبَ﴾ معناه: فُرِض.

(**ودليل الحج قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر بأنه فرض علينا الحج لأن قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ معناه: ولله فَرْضٌ على الناس.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُوْنَ شُعْبَةً، فَأَعْلاَهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ، وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيْلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وَدَلِيْلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

---

(1) بعد ما انتهى المؤلف من الكلام عن المرتبة الأولى شرع في الكلام عن المرتبة الثانية؛ التي هي الإيمان.

وذكر فيما يتعلق بالإيمان ثلاثة أمور:

الأول: عدد شعبه.

الثاني: عدد أركانه.

الثالث: الدليل على هذه الأركان.

(وهو بضع وسبعون شعبة) البضع: بكسر الباء عدد من الثلاثة إلى التسعة، والشعبة: هي الجزء، أي ثلاثة وسبعون جزءاً أو تسعة وسبعون جزءاً أو بينهما.

(فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) ذكر المؤلف أعلى الشعب وأدناها وشعبة لم يُعيِّن مرتبتها، وإنما ذكر ذلك اتباعا للحديث الذي ورد في ذلك.

(وأركانه) أي أعمدته التي يقوم عليها.

(**ستة**) أي عددها.

(**أن تؤمن بالله**) هذا الركن الأول.

والإيمان بالله إجمالا يتضمن الإيمان بثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بربوبيته أي أنه الخالق الرازق وحده.

الثاني: الإيمان بإلوهيته أي أنه الذي يستحق العبادة وحده.

الثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته أي أنه المتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

(**وملائكته**) هذا الركن الثاني.

والملائكة: عالَم غَيْبِي خلقهم الله تعالى للانقياد التام لأمره ووكَّلهم بأعمال يقومون بها.

والإيمان بهم يتضمن الإيمان بجميعهم ما علمنا منهم وما لم نعلم.

وأفضلهم جبريل عليه السلام.

(**وكتبه**) هذا الركن الثالث.

والكتب: جمع كتاب، وهو كلام الله عز وجل الْمُنَزَّل على رسله.

والإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بجميعها ما علمنا منها وما لم نعلم.

وآخر هذه الكتب وأفضلها القرآن.

(**ورسله**) هذا الركن الرابع.

والرسل: هم رجال من الإنس اصطفاهم الله تعالى بِنُزُول الوحي عليهم ليكونوا دعاة إلى دينه.

والإيمان بالرسل يتضمن الإيمان بجميعهم ما علمنا منهم وما لم نعلم.

وآخر الرسل وأفضلهم محمد ﷺ.

(واليوم الآخر) هذا الركن الخامس.

واليوم الآخر: هو البعث بعد الموت.

والإيمان به إجمالا يتضمن الإيمان بأن الله تعالى يبعث الناس من قبورهم أحياء ويحاسبهم على أعمالهم التي قدموها في الدنيا ويجازيهم إما بالجنة وإما بالنار.

(وبالقدر خيره وشره) هذا الركن السادس.

والقدر: بفتح الدال هو تقدير الله تعالى لما يكون في الكون.

والإيمان به إجمالا يتضمن الإيمان بأن كل شيء يحدث في هذا الكون من خير أو شر فقد شاءه الله تعالى قبل حدوثه وكتبه في اللوح المحفوظ.

فائدة: قال أهل العلم: من حقق هذه الأركان فقد حقق أصل الإيمان.

مسألة: الذي لم يحقق ركنا من هذه الأركان هل يكون بذلك كافرا؟

الجواب: الذي لم يحقق ركنا من هذه الأركان لم يحقق أصل الإيمان لذلك فهو كافر.

(والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ودليل القدر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾)

ذكر المؤلف آيتين، وجه الدلالة في الآية الأولى: أن الله تعالى ذكر خمسة من أركان الإيمان، وفي الآية الثانية: أخبر أنه قدر كل شيء؛ وكونه أخبر وجب الإيمان بما أخبر به، وهذا هو الركن السادس الإيمان بالقدر.

مسألة: ما الفرق بين الشعب والأركان؟

الجواب: الأركان أخبار تتحقق بالتصديق، والشعب أحكام تتحقق بالقول والعمل.

المرتبة الثالثة: الإحسان

رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[1].

---

(١) لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن المرتبة الثانية شرع في الكلام عن المرتبة الثالثة التي هي الإحسان.

وذكر فيما يتعلق بالإحسان أمرين:

الأول: عدد أركانه.

الثاني: الدليل عليه.

(**الإحسان ركن واحد**) أي يتحقق بتحقيق شيء واحد.

(**وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)

هذا تفسير لركن الإحسان، وهذا التفسير تضمن جملتين:

الجملة الأولى: (**أن تعبد الله كأنك تراه**) أي أن تؤدي العبادة لله بخشوع بالغ حتى يكون حالك فيها كأنك ترى الله.

الجملة الثانية: (**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) أي إن شق عليك أن تعبد الله كأنك تراه لأنك لا تراه فاعبده مستحضرا أنه يراك.

تنبيه: الجملة الأولى هي التي لتفسير الإحسان.

وأما الجملة الثانية فإنما هي لبيان الوسيلة إلى تحقيق الإحسان.

يعني أن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، والوسيلة إلى ذلك هي أن تعبده مستحضرا أنه يراك.

فإذا قيل: كيف يكون هذا الاستحضار وسيلة لتحقيق الإحسان؟

فالجواب: أنك بالمداومة على استحضار أن الله تعالى يراك تزداد في الخشوع حتى تصل إلى درجة أن تعبد الله كأنك تراه.

(**والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ . ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ . إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ **وقوله:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾)

ذكر المؤلف عدة آيات.

فأما الآية الأولى ففيها بيان فضيلة الإحسان.

ووجه الدلالة على ذلك: أن الله تعالى أخبر أنه مع المحسنين.

وأما بقية الآيات ففيها بيان الوسيلة إلى تحقيق الإحسان.

فالشاهد فيها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ﴾ وقوله: ﴿شُهُودًا﴾ أي أن الوسيلة إلى تحقيق الإحسان هو استحضار أن الله تعالى يرانا ويشاهدنا.

[الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ على المَرَاتِبِ الثَّلاثِ]

وَالدَّلِيْلُ مِنَ السُّنَّةِ حَدِيْثُ جِبْرِيْلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: "أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللَّهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً"، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: "مَا الْمَسْئولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيّاً، فَقَالَ: "يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ"؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "هذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ"[1].

---

(1) لَمَّا ذكر المؤلف الأدلة من القرآن على المراتب الثلاث وأركان كل مرتبة أتبعها بذكر الدليل من السنة.

ووجه الدلالة: أن النبي ﷺ سئل عن المراتب الثلاث فأجاب عن كل مرتبة بذكر أركانها.

[الأصل الثالث: معرفة النبي محمد ﷺ]

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب بنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

وَلَهُ مِنَ العُمْرِ ثَلاَثٌ وَسِتُّوْنَ سَنَةً مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وثَلاَثٌ وَعِشْرُونَ نَبِياً رَسُولاً.

نُبِّئَ بِإقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وهَاجَرَ إلى الْمَدِيْنَة.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ؛ وَيَدْعُوَ إلى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ؛ وَيَدْعُوْ إلى التَّوْحِيدِ، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أيْ عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِن الشِّرْك ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالبَرَاءةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُوْ إلى التَّوْحِيدِ.

وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاَثَ سِنِيْنَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالهِجْرَةِ إلى المَدِينَةِ[١].

---

[١] لَمَّا انتهى المؤلف من التفصيل عن الأصل الثاني شرع في التفصيل عن الأصل الثالث؛ الذي هو معرفة النبي ﷺ.

ومعرفة النبي ﷺ بحسب ما ذكر تتضمن ستة أمور:

الأول: معرفة اسمه ونسبه.

الثاني: معرفة عمره.

الثالث: معرفة بأي سورة نبئ وبأي سورة أرسل.

الرابع: معرفة بلده ومهاجره.

الخامس: معرفة موضوع رسالته.

السادس: معرفة سيرته إجمالا من بعد أن كلف بالرسالة.

(وهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) العرب قسمان:

القسم الأول: عرب عاربة، وهؤلاء انقرض أكثرهم.

القسم الثاني: عرب مستعربة أي أن أصلهم عجما ثم صاروا عربا لتكلمهم بالعربية.

فقوله: **(العرب من ذرية إسماعيل)** المراد بهم العرب المستعربة.

(وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا رسولا) ذكر المؤلف تمام العمر الذي عاشه النبي ﷺ، ثم بين كم عاش قبل النبوة وكم عاش بعدها.

(نبئ بإقرأ وأرسل بالمدثر) أي صار نبيا بنزول سورة إقرأ؛ وصار رسولا بنزول سورة المدثر.

(وبلده مكة وهاجر إلى المدينة) أي ولد ونشأ في مكة ثم انتقل واستقر في المدينة.

(بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ . وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي عظمه بالتوحيد ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي طهر أعمالك من الشرك ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرجز الأصنام، وهجرها: تركها والبراءة منها وأهلها)

ذكر المؤلف موضوع رسالة النبي ﷺ والدليل على ذلك مع تفسير الدليل.

فائدة : لفظ "الثياب" قد يأتي في اللغة بمعنى الأعمال.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾.

(أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة)

ذكر المؤلف سيرة النبي ﷺ إجمالا من بعد أن كلف بالرسالة إلى أن أُمر بالهجرة إلى المدينة.

[الهجرة]

وَالهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإسْلَامِ.

وَالهِجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَى هَذه الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإسْلَامِ.

وَهِيَ بَاقِيَةٌ إلى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾.

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

"سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيْمَانِ".

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: "لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"[1].

---

[1] لَمَّا ذكر أن النبي ﷺ أُمِر بالهجرة ناسب أن يتكلم عن الهجرة.

وذكر فيما يتعلق بها ثلاثة أمور:

الأول: تعريفها، الثاني: حكمها، الثالث: بقاء حكمها.

(**والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام**) الهجرة لغة: الترك، وشرعا - كما ذكر المؤلف -: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

(**والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام**) أي واجبة.

(**وهي باقية إلى أن تقوم الساعة**) أي فرضية الهجرة.

(**والدليل**) أي على حكمها.

(**قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ **الآيات، وقوله تعالى:** ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ **قال البغوي رحمه الله: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان**)

ذكر المؤلف عدة آيات.

أما الآيات الأول فإنها تدل على وجوب الهجرة؛ والدلالة فيها على ذلك من عدة أوجه، منها: الإخبار عن الذين تركوا الهجرة بأن مأواهم جهنم.

وأما الآية الأخيرة فإنها تدل على أن تارك الهجرة لا يكفر بذلك، ووجه الدلالة: أن الله تعالى نادى الذين لم يهاجروا باسم الإيمان، ولعل المؤلف ذكر هذه الآية حتى لا يفهم من الآيات التي قبلها أن تارك الهجرة كافر مخلد في النار.

(**والدليل من السنة**) أي على حكمها وبقاء حكمها.

(**قوله ﷺ: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة؛ ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها"**) وجه الدلالة: أنه علق بقاء الهجرة ببقاء التوبة، فكما أن التوبة واجبة باقية حتى تطلع الشمس من مغربها فكذلك الهجرة.

[إكمالُ سيرةِ النَّبِيِّ ﷺ]

فَلَمَّا استَقَرَّ في المَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإسْلَامِ؛ مِثْلِ الزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ والأَذَانِ وَالْجِهَادِ وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِيْنَ، وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ[١].

[الدِّينُ الذي دَعَا إليهِ النَّبِيُّ ﷺ]

وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلاَّ دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّها عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَها مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[٢].

---

(١) لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن الهجرة عاد لإكمال سيرة النبي ﷺ.

فذكر سيرته إجمالا من بعد أن استقر بالمدينة إلى أن توفي.

(٢) لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن سيرة النبي ﷺ ناسب أن يتكلم عن الدين الذي دعا إليه، وذكر فيما يتعلق به ثلاثة أمور:

الأول: ما يتضمنه هذا الدين.

الثاني: هل هو خاص بفئة من الناس أو عام لجميع الناس؟

[الدَّلِيلُ على مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ]

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ ﴾[1].

الثالث: هل هو كامل أو يحتاج إلى إكمال؟

(ودينه باق، وهذا دينه: لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه) ذكر المؤلف أن الدين يتضمن الدلالة على الخير والتحذير من الشر، ثم بيَّن ما هو الخير الذي دل عليه وما هو الشر الذي حذر منه.

فائدة: التوحيد يدخل في قوله: (**جميع ما يُحبه الله ويرضاه**) وكذلك الشرك يدخل في قوله: (**جميع ما يكرهه الله ويأباه**) وإنما خصهما بالذكر لأهميتهما.

(بعثه الله إلى الناس كافة وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر رسوله أن يقول للناس إنه مرسل إليهم جميعا.

(وكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أنه أكمل الدين.

[1] ذكر المؤلف من قبل أن النبي ﷺ مات، ولم يذكر الدليل على موته هناك، ثم ذكره في هذا الموضع.

[البَعثُ والحِسابُ والجَزاءُ]

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ ﴾.

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1].

فائدة: أخر المؤلف ذكر الدليل لسببين:

الأول: حتى يختم به الكلام الخاص بالنبي ﷺ؛ لأنه لما ذكر أن النبي ﷺ مات بقي كلام يختص به، وهو الكلام عن الدين الذي دعا إليه، فلما انتهى من هذا الكلام ذكر الدليل على موته.

الثاني: حتى تكون به مناسبة للكلام عما بعد الموت.

[1] لَمَّا ذكر الدليل على موت النبي ﷺ ناسب أن يذكر الدليل على ما بعد الموت من البعث والحساب والجزاء، ثم ذكر حكم من كذب بالبعث مع الدليل.

فائدة: ذكر المؤلف حكم من كذب بالبعث ولم يذكر حكم من كذب بالحساب والجزاء لأن الحساب والجزاء تابعان للبعث فمن آمن بالبعث آمن بالحساب والجزاء ومن كذب بالبعث كذب بالحساب والجزاء.

[الرُّسُلُ]

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾.

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليهِ السَّلامُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾.

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولاً مِنْ نُوحٍ إِلى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ﴾[1].

---

(1) لَمَّا ذكر المؤلف الدليل على موت النبي ﷺ يكون بذلك قد انتهى من الكلام الخاص بالنبي ﷺ فناسب أن يتكلم بعد ذلك عن الرسل عموما.

وذكر فيما يتعلق بهم ثلاثة أمور:

الأول: أنهم أُرسلوا مبشرين ومنذرين.

الثاني: ذِكرُ أولهم وآخرهم.

الثالث: ذِكرُ موضوع رسالتهم.

(**وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى:** ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾) المراد أنهم يبشرون بالجنة وينذرون من النار.

(وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر عن النبيين أنهم بعد نوح وذلك يدل على أنه أولهم.

(وكل أمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾) وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر عن الرسل أن موضوع رسالتهم هو الأمر بعبادته واجتناب الطاغوت.

[الطَّاغُوتُ]

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

"مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ".

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ.

وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾.

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ[1].

---

[1] لَمَّا ذكر المؤلف أن موضوع رسالة الرسل هو الأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت ناسب أن يتكلم بعد ذلك عن الطاغوت.

وذكر فيما يتعلق به ثلاثة أمور:

الأول: حكم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

الثاني: تعريف الطاغوت وأنواعه.

الثالث: أفراد الطواغيت ورؤوسهم.

(وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله)

(افترض) أي أوجب.

(**قال ابن القيم رحمه الله: "معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع"**) تضمن كلام ابن القيم تعريف الطاغوت وأنواعه.

أما تعريفه: فهو الذي يتجاوز حده، وأما أنواعه، فثلاثة:

النوع الأول: طاغوت العبادة.

وهو يتعلق بصرف العبادة لغير الله تعالى.

وممن يدخل في هذا النوع الذي يدعو إلى عبادة نفسه.

النوع الثاني: طاغوت الاتباع.

وهو يتعلق باتباع غير الرسول ﷺ.

وممن يدخل في هذا النوع العالم الذي يفتي الناس بالتقرب إلى الله تعالى بما لم يأت به الرسول ﷺ.

النوع الثالث: طاغوت الطاعة.

وهو يتعلق بمخالفة الشرع.

وممن يدخل في هذا النوع السلطان الذي يأمر الناس بأوامر تخالف الشرع.

(**والطواغيت كثيرون**) أي أفرادهم.

(**ورؤوسهم خمسة**) أي أكابرهم.

(**إبليس لعنه الله**) قدم المؤلف ذكره لكونه أكبرهم على الإطلاق، فهو يدعو إلى عبادة غير الله تعالى، ويدعو إلى اتباع غير الرسول ﷺ، ويدعو إلى مخالفة الشرع.

(**ومن عبد وهو راض**) يدخل في هذا كل من عبد وهو راض؛ سواء دعا إلى عبادة نفسه أو لم يدع إلى عبادة نفسه.

(ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه)

يدخل في هذا كل من دعا إلى عبادة نفسه؛ سواء عبد أو لم يعبد.

(ومن ادعى شيئا من علم الغيب)

يدخل في هذا كل من ادعى شيئا من علم الغيب كالكهنة والعرافين.

والكهنة: هم الذين يدعون علم الغيب في المستقبل.

والعرافون: هم الذين يدعون علم الغيب في الماضي كادعائهم أنهم يعرفون أماكن الأشياء الضائعة.

(ومن حكم بغير ما أنزل الله) أي حكم بغير الدين الذي شرعه الله تعالى.

وهذا يشمل جميع القضايا سواء قضايا العبادات أو المعاملات أو غيرهما؛ لأن الدين الذي شرعه الله تعالى يشمل جميع ذلك.

مسألة: لماذا حصر المؤلف الرؤوس بهؤلاء الخمسة؟

الجواب: لعله لما تتبع كلام السلف في تفسيرهم للطاغوت وجد أنهم فسروه بأفراده وذكروا من أفراده خمسة فجعل هؤلاء الخمسة هم الرؤوس.

(والدليل) أي على فرضية الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

(قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾**)** وجه الدلالة: أن الله تعالى جعل الذي يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله هو المستمسك بالعروة الوثقى، والمراد بالعروة الوثقى كلمة لا إله إلا الله.

(وهذا هو معنى لا إله إلا الله) يعني الكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو معنى لا إله إلا الله، **(لا إله)** معناه: الكفر بالطاغوت **(إلا الله)** معناه: الإيمان بالله.

وَفِي الحَدِيثِ: "رأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ".

وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

---

[١] ختم المؤلف كتابه الأصول الثلاثة بقطعة من حديث طويل.

ولعله يشير بذلك إلى الأمور الثلاثة التي ذكرها في المقدمة الأولى:

الأمر الأول: العلم.

لأن رأس الأمر الإسلام؛ أي أعظم أمور الإنسان إسلامه فعليه أن يقدمه بالعناية على جميع أموره، ومن علامة تقديم العناية به تعلمه.

الأمر الثاني: العمل.

ومن أهم العلامات الدالة على العمل المحافظة على الصلاة لأنّها عمود الإسلام، يعني أن الإسلام مثل الخيمة في وسطه عمود يقوم عليه وهذا العمود هو الصلاة.

الأمر الثالث: الدعوة.

ومن وسائله الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فهو ذروة سنام الإسلام، وذروة الشيء أعلاه، فالجهاد أعلى شيء في الإسلام لأن به علو الإسلام على غيره؛ فبه يبقى الدين محميا من أعدائه وبه يُلزَمُ أهل الباطل بالانقياد له.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المُحتويات